الياقوتات

خزعل الماجدي

الياقوتات

تأليف
خزعل الماجدي

هنـــداوي

الياقوتات

خزعل الماجدي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٤٩٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور خزعل الماجدي.

المحتويات

مقدمة المؤلِّف	٧
الياقوتة الأولى	١٣
الياقوتة الثانية	٢٣
الياقوتة الثالثة	٣١
الياقوتة الرابعة	٣٧
الياقوتة الخامسة	٤١
هوامش وإشارات	٤٥

مقدمة المؤلِّف

كانت الكتابة أعظمَ حدثٍ حصل في حياتي، فمعها انتبهتُ لقطار عمري وقد وُضِع على سكةِ قطارٍ طويلة شعرتُ أنها لن تنتهي إلا مع نهاية العمر؛ ربما لأني أدركتُ أن الكتابة هي مهنتي الوحيدة التي سأجيدها ... وربما لأنها تناغمَت مع أعماقي ... وربما لأني كنت أشعر بغُربة عن العالَم الواقعي فجاءت الكتابة لتخلق لي عالمًا متخيَّلًا من الكلمات، أجده منسجمًا مع نفسي وأجد فيه ما عجزتُ عن العثور عليه في الواقع.

وربما هو الخوف ... من الآخَرين والمجتمع، فقد شعرتُ أن هناك مَن يريد انتزاعَ حريتي مني، وحرماني من الأمور التي أحبها؛ بل الخوف ما جعلني رقمًا من أرقامهم، وقلتُ فَلْأخترِع لي رقمًا صعبًا ومعادَلةً يصعب فكُّ رموزها، وكان لي هذا عن طريق الكتابة.

ورغم أني مررتُ بالكثير من المهن، فإنها كلَّها كانت غريبةً عني، لم أشعر بأنها تُلامِس روحي وعقلي يومًا، وهكذا قرَّرتُ أن أكون كاتبًا ولا أكون سِواه. فكان لهذا القرار أثرُه العظيم في حياتي؛ حيث اتَّضحَت، يومًا بعد آخَر، أهدافي التي خُلِقتُ من أجلها.

ومثل أي ولادةٍ مقلوبة بدأتُ كتابةَ مذكراتي منذ أن كنتُ صبيًّا صغيرًا، أروي فيها، بسذاجة، ما أمرُّ به من أحداثٍ بسيطة، وما أقرؤه من الكتب، وما أحبُّه من الأغاني والهِوايات المبكِّرة؛ هذه المذكِّرات لا تعدو أن تكون أكثرَ من يومياتِ صبيٍّ مراهِق ما زال في الرابعة عشرة من عمره. ومعروفٌ أن المذكرات هي أصعبُ فنون الكتابة، ولا تأتي إلا في نهاية العمر؛ حيث عُمق الخبرة وطولها، والكَمُّ الهائل من الأحداث التي يواجهها شخصٌ قَلِق ومختلف مِثلي. ولكني، مع ذلك، أشعر اليومَ بالغِبطة؛ لأني أحتفظ بكنوزِ براءةٍ وسَرديات عفوية لا نظيرَ لها تتمثَّل فيما يقرب من ستة دفاتر سميكة من مذكراتٍ دوَّنتُ فيها عمرًا كان يُمكِن أن يتبدَّد ولا يحتفظ إلا بأضغاثِ صورٍ وأحداثٍ مرَّت بسرعة.

وحين بدأتُ بكتابة الشعر، كنتُ ساذجَ البدايات أيضًا، ولم يتصلَّب عودي فيه إلا بعد زمن، كلما زاد اطِّلاعي على شعر الشعوب، في تاريخها الطويل، وكان ذلك يجري قبل أن أنشر شيئًا في هذا المضمار، ثم بدأت رحلتي الحقيقية مع الشعر حين اختلطتُ بالوسط الأدبي والشعري، في العراق والعالَم العربي، الذي كان مُستعِرًا بالجدل العميق والخلَّاق.

وتقدَّمَت خطواتي أكثر وبشكلٍ أقوى حين نشرتُ مجاميعي الشعرية ابتداءً من ثمانينيات القرن الماضي، حينها تَولَّعتُ بالشعر أيما وَلَع، سلبَ كلَّ كِياني وبدَوتُ كما لو أني منذورٌ له، وأنه خَلاصي الوحيد.

وبعد عَقدٍ من النشر المتواصِل والخوض في غِماره، جاء المسرح ليصبح حقلًا موازيًا للشعر أدركتُ فيه أن ما لا يُمكِن التعبير عنه شعرًا يُمكِن للنصوص المسرحية أن تقوم به، ومرَّت السنوات وإذا بي في بيدرٍ وارفٍ من الأعمال المسرحية المكتوبة والمنفَّذة إخراجيًّا على خشبة المسرح من قِبَل مُخرِجين كِبار.

أكسَبَني ولَعي بالشعر والمسرح قوةً ومِرانًا هائلَين، واستمر الحقلان مَلاذًا لي يَنسجان شخصيتي الأدبية ويرتقيان بي إلى مَدارِك لم أحلم بالوصول إليها.

وسواء، في الشعر أو المسرح، كانت الأساطير تشدُّني دونَ غيرها حتى قادني هذا إلى الاطِّلاع على طيفٍ واسعٍ من أساطير الشعوب ومَلاحمها، ومن وَفرة ما اطَّلعتُ عليه، قراءةً، لدرجة أني كنت أقارن وأدقِّق فيها، وأزيد تنويع مراجعها شرقًا وغربًا.

من هنا جاء الحقل الثالث في اهتماماتي، وهو الأساطير وعِلم الأساطير (المِثولوجي)، الذي تَصاعَد بحثي فيه مع دراستي الأكاديمية للتاريخ القديم وتراثه.

ولأن الأساطير مكوِّنٌ واحد من مكوِّنات الدِّين الثمانية، وجدتُ نفسي في طريق البحث في الأديان وعلم الأديان، وظهر لي مبكرًا مجموعةُ كتبٍ منتظِمة في تاريخ الأديان.

وحين توسَّعَ بحثي في أديان الشعوب وسَّعتُ اهتمامي في حقل الحضارة والدراسات الحضارية لكل الشعوب، وأصبَح هذا المشروع واعدًا في أن يكوِّن موسوعةً كبرى في تاريخ الحضارات.

نشْرُ هذه الأعمال في كتبٍ إلكترونية خطوةٌ طَمُوحة بلا شك جاءت مُتوِّجةً لكل هذا الجهد الواسع في الكتابة.

ستشمل هذه المجموعةُ جميعَ الكتب الإبداعية والكتب الفكرية موضوعة في طريقة متداخلة من التنوُّع والتشكيل؛ فالأعمالُ الشعرية شملَت المجموعات الشعرية التي صدرَت

من عام ١٩٨٠م وحتى يومنا هذا، والأعمالُ المسرحية شملَت المسرحيات التي ظهرَت منذ ١٩٩٠م وحتى يومنا هذا، ومن ضِمنها المسرحيات التي لم تُنفَّذ، إخراجيًّا، للمسرح بعدُ.

تناولَت الأعمالُ الفكرية تيارات الفِكر الأربعة الأساسية في علوم وتاريخ: الحضارات، الأديان، الأساطير، الأدب.

ينتج عن المسار الطويل في تجرِبة الكتابة ما يُشبِه الحكمة التي يَشُوبها الحزن، فبقدر ما يزداد حجم الحكمة في تراث الإنسان، يزداد، في مقابله، حجمُ الحزن والألم الذي يضعنا في مفترقِ طرقٍ واسعة، ولأن الإنسانَ لا تُسيِّره الحكمة، بل تُسيِّره الغرائزُ والحاجات السريعة، وكذلك يسيِّره العنف والغضب.

الحلمُ المثالي في الوصول إلى حياةٍ غنيَّة بالحكمة يتحقق عن طريق تراكُمها بوصفها رصيدًا جماعيًّا وخبرةً فردية، ولعلَّ الكتابةَ والاطِّلاعَ يوفران هذا ويجعلان منه واقعًا قابلًا للتداوُل.

منذ زمنٍ بعيد أدركتُ أننا في بلادٍ تفتقر إلى الحرية ومن الصعب مُمارَستها؛ ولذلك وجدتُ أثناء إقامتي في تلك البلاد أن الحرية أمرٌ شخصي وداخلي ولم أذُق طعمَها الجماعي يومًا، وحتى حين عشتُ في الغرب، لم أتمتَّع بثمارها، بل ظلَّت شأنًا داخليًّا ينمو تحت شجرة الأمان والقانون فقط.

ساهَمَت الكتابة أيضًا في تعزيز حريتي الداخلية وجعلها نابضةً بالحياة والمحبة. وكانت سياحتي الطويلة في الحضارات قد أعطَتني أبلغَ الدروس عن الأشكال المتنوِّعة للحضارات وإمكانية تشكيلها وفقَ البيئة والمجتمع وسايكولوجيا الجماعة، وكلُّ هذه الحضارات طرقٌ في التكيُّف والعيش، وليس بالضرورة أن يكون كلُّ تاريخ الحضارات «متحضرًا»، أو أن يكون جوهرها تحضُّرًا كاملًا ونقيًّا؛ لأن هذا يخالف طبيعةَ الإنسان التي يسكنها الشرُّ والدمار والكراهية مثلما تسكنها نزعات الخير والمحبَّة، فالحضارات تصطرع، مع نفسها، بين هذا وذاك، ونتيجةُ هذا الاصطراع هي التي تعطينا لونَ تلك الحضارة ونكهتَها، المختلفَين عن لون الحضارات الأخرى ونكهتها.

الكتابة في الحضارات أمر مُبهِج جدًّا؛ لأنه يجمع أدقَّ التفاصيل ويُبوِّبها في حقولٍ ومفرداتٍ شبه ثابتة، وبذلك يُمكِن أن نقارن بينها بيُسرٍ شديد.

الأديان، من ناحيتها، تقدِّم التطلُّع والدأب الروحي نحوَ الأعالي والمطلَق، وتترك نصوص الدِّين، بصفةٍ عامة، تشوُّقات الإنسان لهذا العالَم المحجوب عنَّا، ولا شك أن تاريخ الروح تكون له الحصة الأكبر في تاريخ الأديان، ومن الأديان نعرف كيف تنشط روح الإنسان

نحوَ المجهول، ومنها نتعلَّم كيف يجري السطو على الهاجس الروحي وتحويله إلى هاجسٍ سياسيٍّ ومنفعي.

ظلَّ تاريخ الأديان يلازم شغفي المعرفي، بعدَ أن كانت الفلسفة سيدةَ ذلك الشغف، وكان يحرِّك بي طاقةً عجيبة تذكِّرني بطاقة الشعر، التي نَمَت معي مبكرًا، حتى تيقَّنتُ أن الكثيرَ من ثمار الروح والشعر والفنون تَساقَط في حقل الدِّين، ذلك الحقل المجاوِر لنا، الذي هو حقول الشعوب عبر تاريخها الطويل.

لكنَّ دراسة كلِّ دين، على حِدَة، تستوجب منِّي معرفةً جيدة بعلم الأديان، وأنَّ تلازُم علمَ الأديان وتاريخ الأديان أمرٌ لا بد منه؛ ولذا كان، من الطبيعي، أن أعمل على تقصِّي مكوِّنات هذا العلم ومناهجه وعلمائه، وكان لي ما أردتُ.

الأساطير هي الأخرى خزائنُ العلوم والفلسفات والمعتقَدات البدئية، هي بذرةُ كلِّ هذا، وهي الحوار السردي الطويل بين العالَم وحواس الإنسان، في نصوصٍ لا تَرقى إلى أن تكون فكرًا ناضجًا؛ ولذا فهي لغةٌ بريئة مشحونة بالطاقة المقدَّسة.

وكان لتاريخ الآداب والفنون والعلوم سِحره الخاص في وجداني ومؤلَّفاتي، فقد نهلتُ منه الكثيرَ وحاولتُ أن أجسِّد بعض محطاته.

يَتغذَّى عقل الإنسان ويستنشق كلَّ هذه الخُلاصات الجمالية والروحية والنفسية لكي يَغتني ويجعل العالَم حوله وفيه أفضل، وتأتي القراءة أولًا ثم الكتابة كأنفاقٍ جوَّانية لسَبْر كل هذه الأغوار وجعلها تنطق بالعجائب والنوادر.

أتمنى أن تقدِّم هذه الأعمال شيئًا للقارئ، وأن تصِل بعض الخيوط التي أسسا قصة الدأب والمواضبة على حياكة ونسج مشروعٍ تجاوَز زمنُه أكثرَ من نصف قرن.

خزعل الماجدي
٢٠٢١/١٢/٧م

ثمة من يكتبني.

رامبو

الباقوتة الأولى

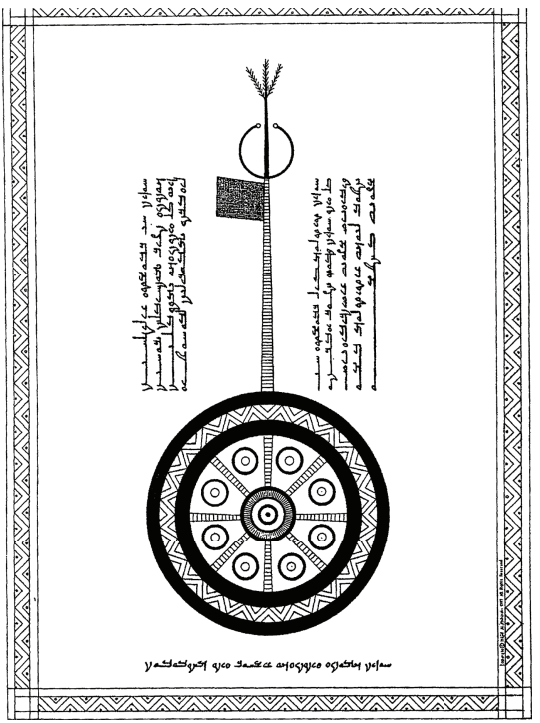

انجلى الليلُ ...
وحنَّى كبدَ الصبحِ صياحُ الديكِ والشِّقشِقةُ البكرُ

على النهر. ومن حيضِ دم الظلمةِ، في ساقية الفجر،
أهرقنا جرار الخمرِ، أرخينا أيادينا به وانحدرَت لذَّتنا في الطينِ
دفنَّاها بقاعٍ معتمٍ يبتلُّ بالعشبِ الشهيِّ اللامعِ الزاهي،
وإذ داهمَنا النورُ وشبَّ الساهرُ الوسنانُ من سُكرٍ قديمِ
قامت الدنيا تفلِّي سرَّها في لحمنا ... تبكي ... ويبكي
عندها عجلُ مساءِ الجنسِ، تبكي ماسةٌ فينا، وعُدنا مثلما
الليلُ طوانا نسكبُ الخمرَ ونسقي زُحلًا قامَ بنا يدمعُ من
كيد لنستلقي على العشبةِ مأخوذين بالفضةِ فينا والفضا
في قبرنا، والوردُ في أقداحنا يبكي، إذا الأفلاكُ دارت
ردَّها الصبحُ وألقاها شفيعُ البحرِ صوتًا مثقلًا بالزئبق
الناريِّ سوَّاها حُبابًا بلَّ أيدينا كأن الطلعَ فيها أو رمادُ
الماء في قربانِنا يطفو.

أفقنا ليتنا ما مرَّت الشمسُ علينا، ليتنا نمنا وسوَّينا بحلمٍ
شمسنا كبشًا وقدناه إلى مرعى وما قُمنا، فشقِّق أيها النائمُ
في رحمِ الحليبِ الضوءَ، أقلِق خُضرةً فينا ويعفورًا يغيضُ
البحرَ، هدهد أفقًا يمحق سيلَ الغيبِ فينا وامسك النارَ
وزدْ واترحْ فما خطبكَ غادرتَ بحورَ الجسدِ المهتاجِ
أبدلتَ به صخرًا أصمَّا جَلفًا — دنياكَ سهوًا — لا ترى
النورَ ولا تعرفَ جمرَ الفرحِ الغامرِ أو لمحَ ندى البرق
البتوليِّ ولا زهوَ الطواويس ولا الكأسَ، وكم ناولتَني
مرجانةَ الخمرِ بكفٍّ لفَّها الوردُ، وعصفوران قُدَّا ذهبًا
قرطانِ في سوسنةِ الماضي وفي مخِّ سمانا، أنتَ بادلتَهما
بالقشِّ، ما خطبكَ لا يرمزُ فيكَ الفصُّ أو يخطفك الضدُّ
ولا ميسمُ جُرح الماءِ وهو الفاتنُ الثديُ اللطيفُ الناتئ
الغديُّ رَهطُ المخملِ الناري في الثغرِ.

تهيَّأْ يا أبا الندمان ...

للعيش الخلاسيِّ وللغزو وللرحلة صوتَ الغامضِ المجهول
يا ذا الوجنةِ المترعةِ التعبى وذا الشعرِ الزكيِّ السائب
المحمول فوقَ المتنِ منسابًا مع الريح التي تلفحُ فتيانًا
ملوكييْن.
تهيَّأْ يا سليلَ العنصرِ الأعلى
ويا ماسًا أزاحَ اللغط الفحمي يا من يرتوي بالخمرِ حتى
يُزهر الخدان بالوردِ، تهيَّأْ يا أبا النجوى لقطفِ المنِّ
والسلوى، ورُدَّ السهدَ بالأشعارِ والترويضَ بالبلوى ويا من
يقفُ الآن على دربِ الذين اشتعلوا في أولِ العمرِ بعشقٍ
هدَّهم فانتشروا ليلًا وسوَّاهم صباحٌ أدردٌ دودًا دبيبًا عند
حافاتِ المجرَّات يفيقون متى ما رشَّهم شبلُ شرابِ الشعر
سمًّا ويغنون، فيا من يقف الآن على الكلمة أطلق طائرَ
النورِ من الجنةِ وامسك أثرَ الله وصيِّر سحبًا مطويةً في
الفجر واستهدِ بخفقِ النجمة الأولى وخفقِ العاشقين العزَّل
الصيد، فلا بابٌ لخيل الملكِ النازل في برية المُلك بلا تاجٍ
يحنِّيه دمُ العشاقِ في التيه، أفِق من حكمةٍ عمياء تلوي
فرس الفارس عن صولةِ حُبٍّ مُستهامٍ ناحلِ العودِ، أفِق
عند شبيه الهتك واهتزَّ لمعنى وطرِ الشمس على عظمكَ
وانشقَّ بشلالٍ من الفضة غضًّا فائحًا من ترفِ الغيمِ على
فخذكَ، من ظلِّ ذبيحٍ فوقَ تيجانكَ هيَّاجًا ومكسورًا
على خرزة أنثى لاغيًا شمسًا بروح الكلبِ أو معنًى بتتويج
سراب، لاغيًا موتًا بشكِ السهم في عين عيون الأبيض
الصافي، أفِق مولاي في روحي ورجَّ الأفقَ الأطلسَ وادفعهُ
عن السقطةِ والنهبِ، ففي رجع صدى الفُلك التي تغرقُ،
في داخلنا الأرحبِ، في الزهرةِ والكوكب، في القاعِ
السديميِّ وفي مضمضةِ النهرِ وفي المُحِّ وفي طُرةِ هذا الشفق
الميتِ تنادينا جِنان الله شطرًا لندى الطُّهر وشطرًا لندى
القاع، فيا قافلة الرهبانِ إذ تطلعُ من بين ثنايا البيدِ

بالعصفرِ والنارِ أريحي الركبَ في أرضي ودُقِّي الميسمَ
العاليَ في كفي، فذا الصبح يحطُّ الآن، من أجل النبيين
برجلَيه على النهر، على قلعةِ هذا البحرِ أو طلعةِ مرأى
الفلك الحندسِ أو قافلة النورسْ.
للماءِ ... لهذا الموجِ أحني جبهتي المؤمنةَ الحرَّى
له للرجفةِ الأولى التي تزحفُ منذ الأزلِ الأول
للغيم الذي حامَ على أولِ خلقِ الله،
تلكَ الموجةُ الأولى التي تنطقُ ذاتَ الجملةِ
السرِّية الغامضة الأولى.

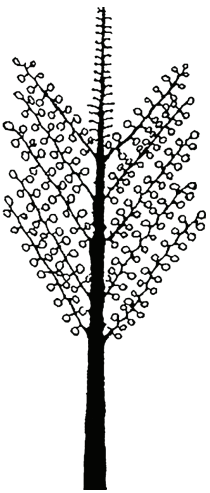

ونحنُ الآن في الفجرِ رمادُ اللدغِ
في أيِّ الروابي دُفتَ هذي النفسَ بالشمس وسوَّيتَ
عروقَ النارِ في قلبكَ صلصالًا؟ وفي أيِّ مدًى باكرتَ

طيرَ البازِ إذ بارزت أشباحًا وضيَّعتَ بهم هذي الذرى
فوقَ لسانِ البرِّ أرخيتَ قلوعَ الشوقِ، طرزتَ شتاتَ
الغربِ بالشرقِ؟ وفي النبتة أحييتَ قوى الريحِ ومازجتَ
الرضابَ الحلوَ بالبرقوق، باهلتَ الصبا القافزَ في السهل
وفي الصحراء في خفقةِ سربِ الطير والنحلِ وفي شهوةِ
حبِّ الارتقاء الصعب والخلقِ وفي ضوءِ اليواقيت إذا
ما شُقِّقَت كالبرعم الصاحي.

تناديكَ جموعُ الروحِ نحو
المضجَع السرِّي للكُهان في التلِّ وفي الغارِ القديم الذابل
الذاوي لفكِّ الأحرفِ المحوَّةِ الأولى من الزبر الذي
سطَّره شيث ومن لوح متوشالح، كيفَ انفطرَت قدرةُ
من قدَّر ومن دارَ على الكونِ ومن سطَّر أو صيَّر أو
أرخى على قاعِ البحار السود قطعانًا من النملِ ومَن كوَّر
نجمًا آفلًا ... مَن في الفضا استنسر؟ سمعتُ اسمي يُنادى
من على ساحل هذا البحر من ماضٍ بعيدٍ شدَّني الصوتُ
وأبصرتُ ... فكان الله يستلقي على الماء ولم أُدرك كيفَ
انحدرَت نطفةُ أبنائي من الغيم وبلَّت أطلس الأرض
وصارت بشرًا يُصغونَ: عُرِّيتُ لمرأى الروح، أوقفتُ
الندى والنار إجلالًا وصليتُ للُقيا أول الأنسام في الفجرِ.

فمن منكم رأى البيتَ الخرافي الذي عمَّره الشاعرُ
واستلقى به في لحظة الموتِ قتيلًا بين حورياته ينزفُ
أزهارًا وياقوتًا وكان الخمر في قربتهِ يغلي ويرتجُّ؟
إذن من منكمو أوقفهُ العطرُ النجاشيُّ الذي يخرجُ من
وردةِ خُلدٍ عند قاع البحر أو في ساحلٍ أعمى؟
ومن أسسَ في هيكله الكونَ وأبقى نفسه منفصلًا
مستيقظًا للنارِ، أبقى روحه في رفعةٍ أعلى من النزوة ...
من بحرٍ غريزيٍّ ومهجورٍ؟

ومَن قاتلَ في داخله الهيدرا التي تشمخُ بالسوءِ إلى الروح
وسوَّاها نباتًا ذابلًا حطَّمها في القاع؟
مَن أحنى لكفَّيه الغيوم الخضرَ والمعدن والنار ولم يقطف،
حين اختار أن يطردَ من جنَّتكم، بابًا ومفتاحًا؟

ومن يخرجُ في أعلى الحصون الصفرِ كي يرقبَ أحجارًا
هوَت منذ زمان الفلقِ الأولى على الموجِ ومسَّتها المياه
الزرقُ فازرقَّت؟
ومَن يربط في أنفاسه البحرَ بمدٍّ وبجزرٍ وبتقليبِ
وأحلامٍ مخاضيبِ؟
هو الساحرُ والعاشقُ والشاعرُ والشاربْ
هو الواثبْ.
مولانا الفتيُّ القمرُ الراهبْ.

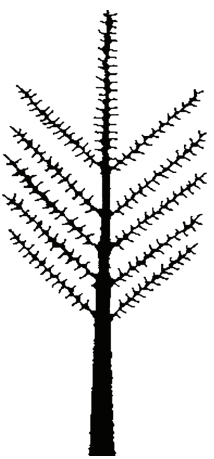

طويتُ الخطوة الأخرى
فأبصرتُ المدى من فوقِ حقلِ النخلِ يهتزُّ لقيثارةِ لحنٍ
أزلي قامَ في الصبح، لشمسٍ قُتلَت في أطلس الماسِ وفي

رشقِ كتابِ الطاقِ والشهوة، في فَلِّ بياض الموتِ والجرح
ومِن شمَّ دمِ الأنثى كوردٍ ناقعٍ في الخمرِ، كالسكران
أضناه الجوى والطربُ الأخَّاذ والفتنةُ إذ تسقطُ من فيضِ
شموس البيضِ لو رنَّحها سكرٌ وشدَّت في الخصور الضُّمر
أغصانًا وخزَّت لتهاوى عنبُ الجنةِ في الكأسِ وضُيِّعنا
بوادينا تُحنِّي فمَنا الخمرةُ والتوقُ، نجرُّ المُرطَ من أكتافنا
نهذي ونستصرخُ جوف الليل بالشدوِ وبالغفوِ على
أكتاف من ناموا ومَن أثقلهم سكرٌ.

فشدُّوا رحلكم في الليل والتمُّوا وحنُّوا شعرَكم بالزيت،
حنُّوا بِلُقى الصينِ
رداء الشاعرِ الضلِّيل، دقُّوا الطبلَ والأبواقَ والبرقَ، ففي
الصبح سيفضي لكمو باسم الينابيع التي ينهلُ منها ثم
لا يبقى، سيطوي في الفلاةِ الخطوَ نحو الله، يطوي
حكمةً شاخت بكفهِ وأشعارًا ذوت في نار جنبَيه، لكم
هذي الربى والأرض والدنيا
له الدهرُ وشمسُ البرِّ في أقواسِ عينَيه.

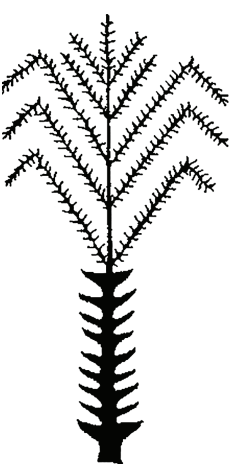

تلقَّاني الفضا والحجرُ النطرونُ، ها أني كما آدم مطرودٌ
من الجنةِ، من حقلِ الشباب النضرِ الزاهي ومدفوعٌ إلى
كومة أحجارٍ من الحكمة في زمرةِ قدِّيسين معطوبين
بالتأويل والباطنِ والفوق، فمن عاقبني حتى أصير اليوم
ما بين الرقى والكتبِ الصفراء والظلمة والنور؟ وقد
اتلفتُ روحي بالنزول المُر للبئر الشهيِّ الفاتنِ المسكون
بالأفعى، إذن هشمتُ هذي النفسَ فيما يُشبهُ الفتنةَ
والصفعَ الذي أفقدني النورَ وأنساني حدودَ اللمسِ،
أصبحتُ قويَّ العقلِ كي لا يعرفَ الناسُ بأني ملكٌ
مجنون، ها أني أظلُّ الآن قربَ اللذةِ الأعتى وطلَّقتُ جنانَ
الشعرِ آثرتُ بأن أنزلَ في النهرِ الذي يمتدُّ جنب الشعرِ
رقراقًا ... عميقًا دفقًا ثرًّا ومهراقًا
دعوني أستر النار التي في القلب بالدمعِ، دعوني الآن
مشغولًا ومعتلًّا ومبلولًا
فهذا جسدي ينسلُّ بين القبرِ والأوهامِ مشلولًا
يشدُّ الزهرةَ الأولى
فَراشًا هائمًا صبًّا ومقتولًا
دعوني للسموات التي أعرفها أصبو، فبُعدي سوفَ يأتي
كاهنٌ طفلٌ شديدُ العزمِ يُلقي حبلَه في الفلك الآخر ...
يستهدي بما كوَّنتُ من هذي الرقى والكتبِ السحرية
السوداء ... من وحي أناشيدٍ لإسرافيل ... من يقظةِ دلمون،
وما في السيمياء السر والكانونْ
فتُمسي الأرض كونًا فرحًا مجنونْ
وينسى الناسُ صبًّا قلِقًا مفتونْ.

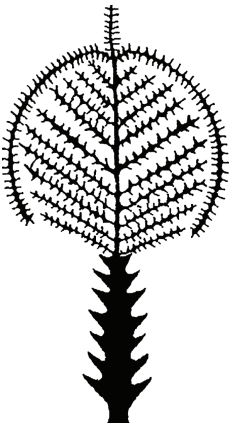

الياقوتة الثانية

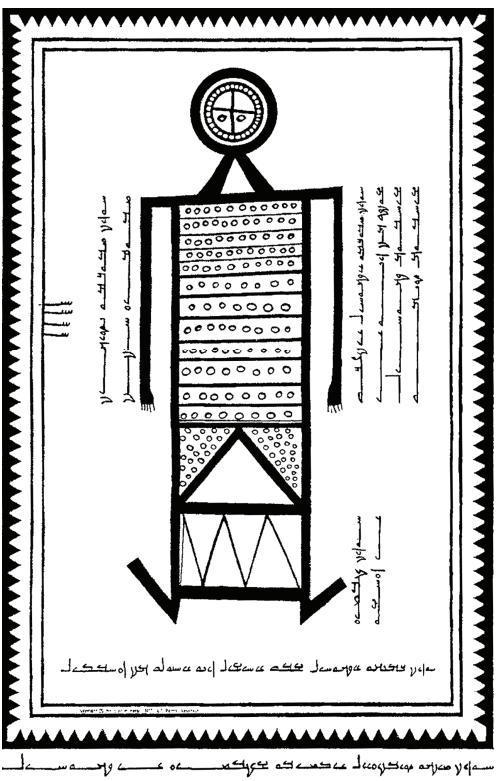

أعودُ
فأحرقُ الأوراقَ والحبرَ الذي لوَّث ثوبي والرُّقى، أُرخي

لأعشابي لذيذ اليمِّ، أستلقي بفجرٍ معتمٍ يرشقُ أورادي
يمامًا تائهًا ... يمسح لي روحي، فيلتفُّ ضحى البرقِ على
غصني ويلتمُّ على تاجيَ، ما كان معي غيرُ صدى صوتٍ
يناديني وأشباحٍ تدقُّ الليل.
هذا ملكٌ يرفلُ في الأسمالِ تيَّاهًا جليلًا يُمسكُ النجمَ
ويستمطرُ بالشعرِ جنانًا، هوَ طلَّاعُ ربى النُّعمى، شيخي
الشاعرُ الأعمى، سليلُ الوردِ والأنسام والقَرمُ الذي
طوَّع أفلاكًا وما سمَّى، إذ اختار مجرات له وافتتحَ الطينةَ
والجُرما وقال الشمسُ في مُخِّي وما استبدلَ بالتبرِ طروسًا
حاكها بالنور واجتاحَ له تلًّا عفيفًا وارتمى يحفرُ عن
سلسلةٍ بائدةٍ وردًا وتيجانًا وأحياءَ خرافاتٍ قضت وطرًا
وولَّت،
فانطوى يحنو عليه الأزلُ المغلقُ والريحُ، لذا ألقى
على أسماله الزهرَ وهاجًا صافيًا من ثمرِ السدرةِ حتى
ينطوي في فلقةِ البلَّور أو يمسك عشبَ الجوهرِ الغامضِ
والآفاق يرعاها ظباء تركلُ الغيمَ على لبوةِ هذا البحر أو
يطرق نهرًا هادرًا في البيد، هذا الملكُ النازحُ في مملكةٍ
عُليا يناديني، لكَم هيَّج فجرًا في دمي واختار أن يبقى
بعيدًا يصلُ النجمة بالنجمة بالأعشاب، منها أسَر الكونَ
على نخلةِ أهليه، إليها، ورنا يمزجُ صلصالًا بماءٍ كدرٍ
فالتفَّت الأحرفُ في فيهِ وفرَّجنَ له الصعبَ ودوَّن لياليه
بأحلى الطُّرس، ناداني حبيبي للرُّبى، لا بد أن أترك
كأسي فارغًا أتبعُه الآن وأُلقي قدمي في أرضهِ الأولى
فنفسي هلكَت من لذةٍ حمراء واخترتُ مآقيهِ ينابيعَ
تداوي علي تُبرئُ جسمي من قشوري.

إنني أبصرُ يا شيخيَ أفواجًا أتت سكرى
وتيجانًا على ثنيةِ هذا الغيم،

شمسًا من قطاف الروح تدنو من غرانيقي وآلافًا من
الجنِّ تقودُ العربات السود للأقصى فخُذني نحوها يا شيخ
ألقاها وأمشي في مناياها، أشمُّ الروح في أشجارها أعلو
بسلواها إلى غصنٍ سماويٍّ على العرش أدرْ فوقَ إنائي
حبركَ الأبيض واملأني ببحرٍ يغسلُ الدغلَ بروحي والمساء
المُر عن كفي وأعلامي يردُّ الليل عن عقلي ويحميني من
التخمة والجاهِ.

أدِرْ يا شيخيَ الأعمى رضابًا عسلًا فوقَ
لساني واسْعَ بي للمنجم التحتيِّ أُلقي فيه تمساحي وغصني
وأناشيدي الغنوصية والخمرَ التي عتَّقها قبليَ سرِّيون
وانسابوا، كما كوكب زيتٍ، في فنونِ العقلِ في أنغامه
الغَمرية الجَفرية الأولى لأعلو في نجيع الهدم أُحصي غسقَ
المنفى لينشقَّ رمادي وأغني قصة الموتى.

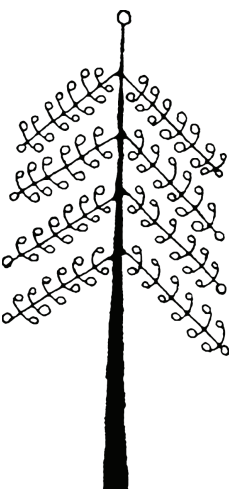

هوى عند قطيع الغنمِ النائم في العشبِ المغطَّى بالندى
نجمٌ وغطَّتهُ فراشات قتيلات، ولكنَّ الفتى صلَّى لباريهِ
وناداه المدى فالتفَّ بالزهرِ وأرخى قدمًا فوقَ طريق المجدِ
واجتاح أعاليهِ ... جمالٌ أسر العين وردَّ البرَّ برَّينِ وألقى
صحفَ الماضي على روحٍ ذوت من لهبٍ أعمى وأجفانٍ
هوت فوق خدودٍ زانها الطُّهرُ وروَّاها طرازُ الخمرِ شمسين
جمالٌ سقطَ اليومَ من النارِ وأخفاه عليلُ البالِ في الروح
وألقاه السما فانشقَّ ماضيه سحابًا غَدِقًا روَّى مراعيه
فوافاه الضحى بالكاظمات البيد والتيهِ، أبِنْ يا ليل عن
نجمٍ هوى في عشبِ مجروحٍ وعن غابٍ وإشراقات ممسوحٍ
رمى في زيته نبتًا غريبًا هيَّم الأسماكَ والغيمات والقطعان
واختار له نجعًا بعيدًا خافقًا يمتدُّ في أفق كليلٍ أبيض
النبضِ.

أبِنْ عمَّا يروِّي عرقكَ الشائك واسرح في غبار
الخلقِ، للنجمة لوِّح واربط الطينَ بصلصالٍ طفا في
خاطرٍ ردَّك مخبولًا وخلَّاكَ تنادي شبحًا يركضُ في
صحراء أيامكَ لو مسَّكَ عشبٌ ردَّكَ العشبُ إلى الخضرة
فارتحتَ على سوركَ تبكي زمنًا ضلَّ وما أبقى، جمالٌ
غمرَ الدغلَ وأرخى فيضهُ فوق تلال الليل أرخى شالهُ
فوق تُخوم الأرضِ لو زيَّنها الركبُ وفكَّت فوقها الستر
ونامت واستراحت عندها الروح وأعلاها حنينُ الفتح
للشمسِ وروَّاها زلالُ النبعِ حنَّاها دمُ الفتنةِ واحتكَّ بها
النهرُ القديمُ الأبعدُ الصافي وفي لفح الندى الغافي على
مخملِ أجسادٍ طفَت في عتر الوردِ، سرى في دمه الفجرُ
وشدَّته شموسٌ نحو خلجانٍ فخاطَ البحرَ أعلى برقهُ
الأسود للغَيم وزخَّ الماسَ، ناداه صياحُ الشاعر الأعمى إلى
الجنةِ والحقلِ السماوي فألقى سرَّه في الليل أدَّى قسمًا لله

واختار عصاه ومضى فجرًا.

حزينٌ ضاربٌ في الأرض لا يلوي على سهلٍ ولا يركنُ
في بيتٍ، حزينٌ رابطٌ جنحيه كالباز إلى صخرٍ ومُلقًى في
عراء الله يلتمُّ عليه الطيرُ والعقبانُ ترعاه لكي تنهش عينيه
وقد كان الدجى يومًا حبيسًا في شراعيه وشمسُ البرِّ حبلى
به، قد كان أنيسًا غرقت في كأسه واستسلمَ العاشقُ للتيه
وما أغلق بابًا صوبَ نورٍ قادمٍ من آخر الدنيا إلى القلب
الذي عُتقَ دهرًا في دماه فطفا فيها، وألقى فوق عينيه
بريقًا كاسحًا وازدان شاطيه، له أثوابُ قديسٍ عفيفٍ
ورعٍ يحملُ تيجان أقاحٍ درٍر ينسكبُ الكوثر من فيه،
عجيبٌ خلطَ الشمسَ بماء العمرِ فانشقَّت له الأغصانُ
يلقي الغسقَ المحزون بالألحانِ والصحوَ بترديد تعاويذِ
الرُّقى والسهدَ بالندمان.

أميرٌ ... ملِكٌ في آخر الليل، وفي أوله بدرٌ جليلٌ، سمِّهِ
ما شئتَ ... تاريخَ جنونٍ عاشقٍ، سَيلًا من العُشاق،
أنسابًا وأسماءً من الماشين في كوكبة الوردِ، جميلٌ عاشقٌ
في الأرضِ يرتاحُ على سورٍ من اللُّبنى وأنهارٍ من الخمرةِ
والضوءِ، فهل يهتزُّ هذا العالمُ الراكدُ مثل الوترِ المشدود في
العودِ على أيديه؟
هل يهتزُّ هذا الوثنُ الثورُ وهذا الحجرُ البحرُ؟
وهل يهتزُّ نبعُ الأرضِ وهْو الساكتُ الأدرد؟
هل تُصغي لكفَّيهِ حشودُ العازفين الجامدين الآن في
صالات هذا الكون؟
هل تنفضُّ أرتالٌ من الأرواح نامت واستقرَّت في نواةِ
السيفِ والعرشِ؟
وهل يفعلها غطريفُ لوغوسٍ مُعَلى يضربُ الأرقامَ
بالسوطِ فتبكي وتُدلِّي ... يضربُ الأحرفَ بالجمرِ فتعطي

وتُعرَّى شفرةُ الكون؟
فهل يفعلها؟
هل في ظلام الليل يُنهي أمرَه ... يعلنُ هذا المحتفي بالموتِ
سرًّا ثم يستلقي قتيلًا وسْطَ نورِ العالمِ السفلي ... في
السدرةِ ... في سفر البروج الأصفر الملقى بأفواه سكارى
الكلْمة الأولى.
أَفِقْ ... ليسَ لكَ الآن سوى أن ترشقَ الماءَ بنيرانكَ كي
ترفع بين الحينِ والحينِ كتابًا ثم تمشي زاهيًا فوق خرابِ
الأرضِ تُلقي الشائكَ الأولَ بالناعم والآخرَ بالقادمِ ترميها
بقاعٍ يابسٍ يرفعُ في الأكوان أحياءً ويلتاذُ بنبعٍ عامرٍ، كمْ
كانت الأنجمُ سوداء وكم غنَّت لكَ الأشجار واختارت
لك الفردوس بيتًا طيِّبًا حلوًا وبستانًا
ولكنك ما أمسكتَ منه غير طيفٍ شاردٍ في الليلِ ما
أمسكتَ غير الليلِ منسابًا وجَذلانًا
على كأسكَ يهذي جُملًا ناقصةً، أضغاثَ قاموسٍ
وحيراتٍ تبلُّ العينَ قبل النوم، ما أمسكتَ غير الدهرِ
فوقَ الأرضِ مطروحًا وسكرانًا.

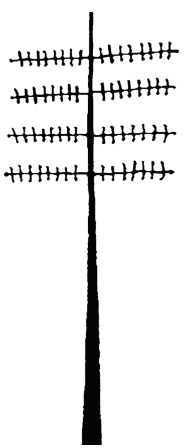

هوى غصنُ شذاتي
وارتقى الطيرُ لتدبير أذاتي
فهو عندي رهجٌ يصعدُ من شمسِ رُفاتي
وسرابٌ قلقٌ ينزلُ من غيم الزمانْ
وينابيع ارتوَت ليلًا بماء الحيوانْ
هكذا أبقى أُنادي الشُّعريانْ

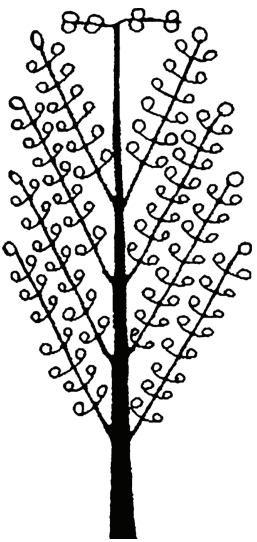

بلَّني الهدهدُ واشتقَّ رحيقًا من شفاهي ورمى البحرُ إلى
كفِّي جِرارًا من خمورٍ عُتِّقَت دهرًا وشابت، بلَّها النورُ
زمانَ النُّطف الأولى وأخفاها هديلٌ شفقيٌّ
ورمى لي عطشي الخمرَ السجاجَ الودقيٌّ
تحتَ ما احتكَّ من الأنسامِ في ثوبي وسوَّاني التقيٌّ.

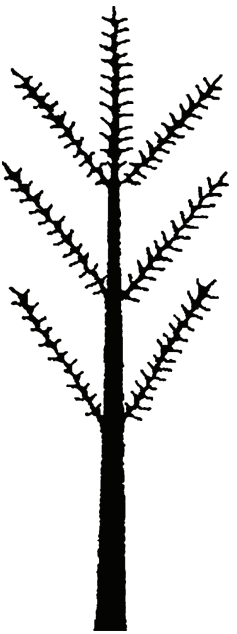

ربما الحالم في النومِ يهدُّ النومَ والطيفَ الذي علَّقه طيرٌ
ويحتاجُ رمادَ العقلِ إذ رمَّزهُ الطارقُ في الغيمِ وإذ زيَّنَه
النورُ وكبشُ النار، ها أنتَ بَهِي الروحِ أمسكتَ بلوح
الخلقِ واخترتَ بأن تذبح غزلانك والشمسَ عليه،
صِحتَ بالناسِ أنا أولُ حرفٍ فوقَ هذا اللوح والنجمُ
الذي ما زال خفَّاقًا بأقصى الكون والساكنُ في الأرحام
والهائمُ في البرية الأولى، أنادي الوردَ والماءَ الذي يبزغُ
ملتفًّا بقنديلي، وأسعى نحوَ نجمٍ ذابلٍ يظعنُ في المنفى
فألقى بعضَ ما ألقى وحيدًا قلقًا يلعنني الطيرُ وتطويني
ثعابيني، وألقى بعضَ ما ألقى من الفردوسِ مكسورًا
ومكسوًّا بأطواقِ شظايا تنثني في الكونِ أنغامًا وأحجارًا
ولكني، أخيرًا، أرعوي ... أرجعُ من نجمي إلى طيني.

الياقوتة الثالثة

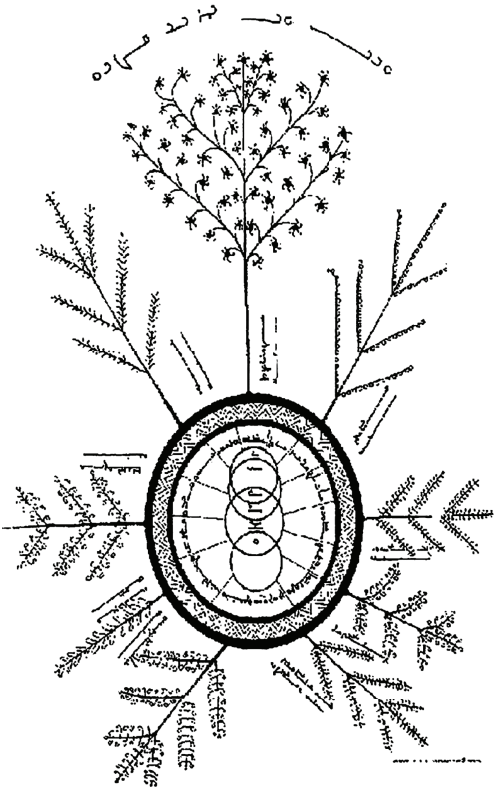

لا فرحةٌ كفرحةِ الشاعر
لا أبَّهةٌ وسطوةٌ ... كسطوةِ الشاعر

لا إمارةٌ تشبهُ ما أسسهُ الشاعرُ
لا كواكبٌ ترقى ولا عناصرٌ تفورُ مثلما في قدح الشاعر
يُلقي دمَهُ في بركةِ الليل فيحيي الليلَ والفجرُ يناديه، أميرٌ
كسفَ الظلمة بالكلمة والشمسُ على أحلى أوانيه
والبدرُ كما لؤلؤة في تاجه أو خرزةٌ تسطعُ بالنار وتُحييه
وقد أعطى لسورِ المجدِ ظهرًا واعتلى قلعته ينسجُ أقوالًا
وأحلامًا وغزلانًا تنادي وارتمى في النورِ تيَّاهًا عفيفًا
ماسكًا غصنَ براريه، جموحًا يطعن الجنَّ ويُلقي نبلَهُ في زُمرِ الأطياف.

هذا الهائمُ الصبُّ العليلُ انسردَ الدرُّ له
وانفلق البزرُ نديًّا في يديه ورنا رايتَهُ تطلعُ من فوق
شواطيه، وها قد خفقَ الليل وأزجلنا المواويلَ التي ردَّدها،
من قبلنا، حشدٌ من السُّهادِ والعُشاقِ، أطلقْنا طيور الطرب
التعبى، ولا نجمٌ يناغيكَ ولا خمرٌ يردُّ السهدَ عن عينيكَ،
لا نورٌ ينجِّيكَ من القحط ولا إيلافُ تُرخي عندها روحًا
سوى الأرض التي تبلى وأحداق تصيدُ الشارد الصعبَ
وآيات لها وقع القرابين إذا ما أُلقيَت أرضًا وجُزَّت
وتلوَّت فهْي تلويني.

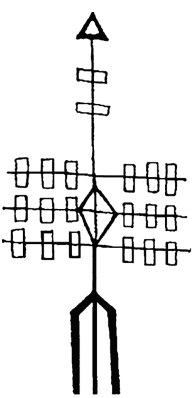

حزينًا أفل البدرُ
ولفَّ، البيرقَ المكسور فرسانٌ ملوكيونَ بالزهرِ وأعلاهم
حنينُ الفتحِ للموتِ، يصيدون به كبشًا نشيطًا ينعتون
الكون بغلًا ويفيقون، يحطُّون على الصخرِ أباريق جمالٍ
وفناجينَ وتيجانًا ودفلى، قادهم طيفٌ وروَّاهم ضجيجُ
الدمِ في أوداجهم واستعذبوا خمرًا، يدقُّون بصنَّاجاتهم
أندرَ ألحانٍ ويمشون لحتفٍ مشرقٍ مشيَ خِفافٍ يعصرون
التمرَ والأعنابَ تحت البرق، ها هم طلعوا في مطلعِ
الصبحِ وداروا حول نبعٍ تالفٍ وانتشروا فوجًا فمنهم من
رمى وردًا لقرن الثور فانشقَّت ومادَت تحتنا الدنيا، ومنهم
من عصى واختار أن يقذف قلبَ النور بالكلمة وارتاح
على بحرٍ من الشذر ورجَّ الماسَ في خوذته واعتصر الجمرا
وها ناموا جميعًا آخرَ الليل على قمصانهم وافترشوا
العُمرا.

سلامًا أيها الصحب الندامى يا نهارَ الشعرِ يا نورَ
القناديل، لهم في رَفرفِ الماءِ طيوفٌ هزَّها الشعرى
بترتيل، يشقونَ دمَ الليل ويمشون على أطرافِ هذي
الأرض أشباحًا ينزُّ الوردُ من مشيتهم توتًا ويسبيهم
صياحُ الديكِ نشوانًا ويكويهم إذا شمُّوا على أطرافِ
بغداد رياحَ الخمرِ هبُّوا وتساقوا، حلبوا النورَ من الكأسِ
وصبُّوه على أفئدةٍ حمراء تنشقُّ عن النبعِ وترتاحُ على غرَّة
صبحٍ فيصليٍّ أصفرِ الطلعِ، وها بينهمو الشاعرُ يعلو الفرسَ
النافرة السكْرى ويغويها إلى شاطئه يحدو عليها ثم يدعوها
لِلَمسِ اليم والغطس إلى لؤلؤة خضراء ما بين عيون الثورِ
والريح على قرنَيه تعلو، ها هو الآن يحنِّي طيره بالعصفر المُر
وبالكنعان، يمضي صوب أعماق الطواحينِ ويُلقى ميتًا في
دربه لكن جنحَين صغيرَين يرفَّان على كتفَيه طولَ الدهرِ.

هذا الشاعر المقتول أغرانا بهتك الروحِ والعيش على تكيةِ
أحلام العصور الغابرات، شدَّنا من شعرنا بالأنجم الأولى
وألقانا بيمِّ الشمسِ وانكبَّ على دورقه يُمسكُ بالطين
وبالأعواد كي يخلقَ كونًا كاملًا يرفلُ بالنورِ، هذا
الشاعرُ المقتول ظلَّت في الربى ملقية أضغاثُ ريحانٍ عليه
ومداراتٌ له تطلعُ والنهرُ له يلطمُ، وهْو اليوم ما زال كما
مات لُجينًا خالصًا، جوهرةً ... نورًا، خلاصاتِ حشود
منتقاةٍ وصراعاتِ جنونٍ طافحٍ بالبِشرِ قُدَّام الشياطين
العتاة الزمرِ المارقة الخطو من الجن.

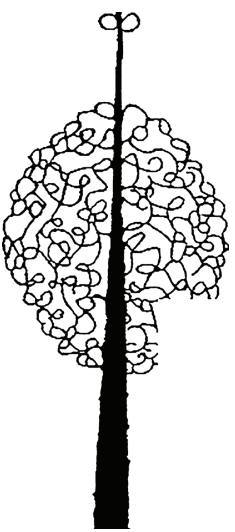

أفقتُ
ليتَ حلمًا مرَّ بي ما مسني بالنورِ، ليت النور ما مرَّ على
عيني وما سوى ترابي نجمةً والْتفَّ يغويني، وقمتُ ... ها هو
الله يغطي لي حقولي.

ها هو العشبُ وسيقان البراري ترتخي في الأفق
ها خُشعةُ بيتي تستوي أرضًا
ومنها يطلع الكونُ نقيًّا رائقًا لا بُقعُ الشرِّ به تطفو به
ولا طينُ الحياة.

وأنا أنظرُ للأعلى؛ إلى حيث يكون الله
والله يناغيني ويُلقي ثمرًا نحوي
ونشتاقُ إلى بعضٍ — أنا والله — أوقاتًا يراعيني وأرتاحُ
على فسحةِ كفَّيه
أوقاتًا يناديني بصوتٍ غامض يعلو:
وحيدًا صرتَ يا طفليَ مذ غادرتَ فردَوسي
وضُيِّعتَ بهذي الأرض محمولًا على بحرِ الخطايا
مثقلًا بالإثم متبوعًا بناقوسي، فعُدْ يا طفليَ الحالم
من منفاك واملأ وحشتي واصعَدْ بناموسي
فأبكي ريثما يطلعُ فجرٌ، ريثما يملأُ صوتُ الديكِ أنهارًا
من الظلمة حيث الأفقُ ينشقُّ ليطوي الله عرشًا تحتهُ ثم
يحيِّيني ويمضي.

هكذا أبقى وحيدًا أسألُ الأنسامَ والأيامَ والجُفرَ القديمات
عن الله وأبقى هائمًا أحرقُ ليلي بنهاري وأرى في السحر
أخلاطي وأستحضرُ روحَ الخضرة الأولى ورجْعَ الصوت،
أبقى ساهمًا أرقبُ ظلَّ الله في الريح وفي الرعدِ وفي
النور الذي ينحلُّ في لجةِ هذا البحر.

قد ألقيتني يا رب في جبٍّ عميقٍ راكعًا مُضنًى
وها علَّمتَني يا ربُّ أن أنزعَ من روحي سكون البال والأعماق
أن ألجمَ أفعايَ التي تدفعُ بي نحو سفينٍ غارقٍ في اللذَّة السوداء
ها علمتَني
أن أطبعَ الأيقونةَ الطقسية الأولى بنعشي وأُهيلُ المسكَ

فوقي وأنادي أربعًا إسطقس، يا سيلَ أباريقي ويا فيضًا
طفا فوقَ أساطيلِ الندى والطين لمَّا صُعِقَ الأقنومُ
وانشقَّت به بذرةُ حواء وطارت ريحه نسلًا جميلًا دلقَ
الفايروس في عظم البراري ورمى في بركةِ الحيوان أسلافًا
نما فيها البراقُ الطيفُ والعجلُ المقدَّس والنياقُ الصفر
والبعلُ الذي قامَ بتاجِ الزهرة الحمراء.

حين الموجُ غطاني
وشاهدتُ أبابيلَ من الأرواحِ شبَّت واستفاقت مثلما
الطوق وغنَّت لجمال البشر الزاهي على الأرض ولكنَّ
بروقًا أحرقَتهم واستحالوا ندبًا في صخرة ذكرى، كأن
الله يُلقي فيهمو غضبتهُ برقًا ويرميهم ترابًا زبدًا في الماء
منشورًا وأكوامًا.
كأن البرقَ لا يقبل بالإنسان مزهوًّا
كأن البرقَ يخشى ندَّهُ والطوفان يخشى بشرًا يعلم أو
يسرق زهر الخلد.

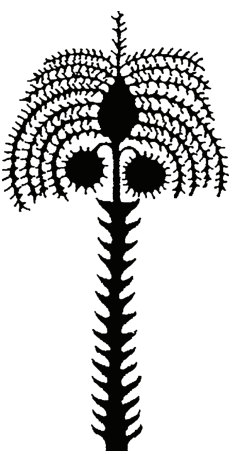

الياقوتة الرابعة

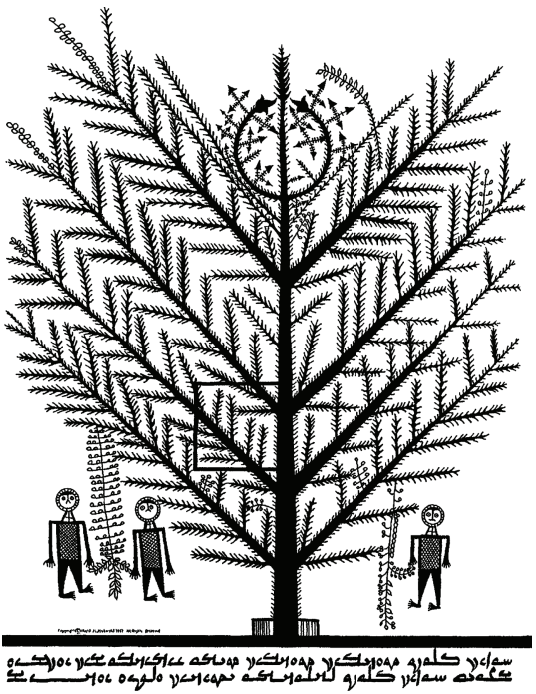

لماذا سكتَ الناي؟
لماذا احتجبَت سيدةُ الناي؟
لماذا افترقَ الحشدُ؟

لماذا سقطَت كأسٌ على الأرض وناحَ الخمرُ، ناحت
وردةٌ، ناحَ كمالُ الشمسَ واستعصى على الفهمِ جدالٌ
بين مرآتَين كيفَ انفطرت عشتار نصفَين، ومن رَد إليها
بعلها المغلول في المنفى وخاط الشوق فلًّى فَمَها ... فنَّن
نحتَ البرقِ في توشيحها ... فكَّ لها درسَ المسوخ المبهمِ
الفرَّاج، مَن جرجرها وانشقَّ في بستانها غولًا وخمبابا
ومن دقَّ على فستانها نبلًا وعرَّى طولها وانحرثَت أرضٌ
وهزَّ الثورُ قرنَيه، لماذا انتحبَت سيدةُ الشرقِ وفاضَ
الكأسُ دمعًا وترابًا ودمًا يطوي وحُمَّى تُسكتُ النايَ ...
لماذا احتجبَت سيدة الناي؟

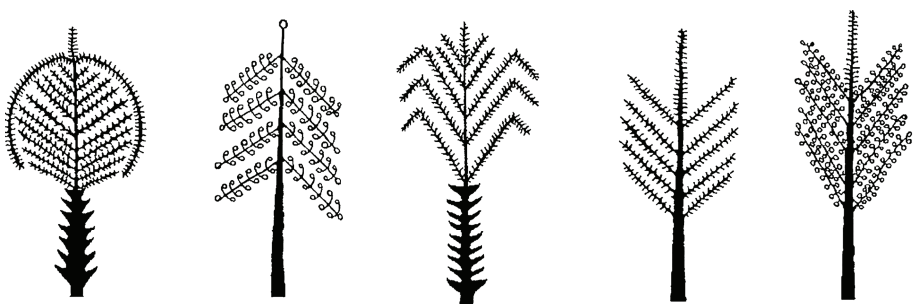

زماني حيدرٌ
بارَزه سيفٌ ونادتهُ دفوف الماء فاجتاحَ أعاليها وناداه
جمالٌ نابضٌ في الشمسِ فالتفَّ في التيهِ، زماني زمزمٌ لم
يعد الماءُ به أنزلُ في أغواره أقطفُ من قيعانه الشوك
وأنشقُّ به سبطَ دمٍ رتَّقهُ الراتقُ، مهتاجٌ بفجرٍ يلجُ النونَ
ويطوي النهرَ في الدفتر والصخر برجراج فؤاديه
كثيرُ اللبطِ مطَّارٌ يزيد الأرضَ عشبًا والسماءَ استبرقًا يُغبطهُ
طولُ الليالي فينادِيني ويسقيني شرابَ الشمس في غرفته
ليلًا زلالًا جاذبًا رهطَ سيوفِ النورِ لسعًا تحت صدغيَّ

غرامًا ماجنًا.

هناك انسرقَت فهرسةُ الأرضِ وأخفاها بدُرجٍ
تحت كفَّيه، ومنَّى وأزاح الستر عن نعناعه أربكَ عينيَّ
بنار الموج، علَّى، دحرج الطين على ساحلِهِ، ردَّ ...
تدلَّى، وتداعى عنده سربُ سجود الأقدس الحار، جلاه
جلوةً تعرى ففرَّ الوردُ حيران يُغني تيهَ لذَّاتٍ تقلَّت
وانشوَت في دمهِ واسَّطرَت في النجم.

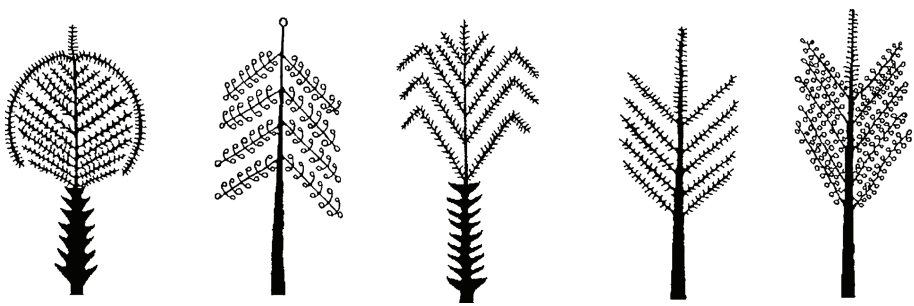

سرُّه ... لا سرَّ له
شكله ... لا شكلَ له
دمهُ يملأُ هذا الكون نورًا، كأسهُ يطفحُ ماسًا، هذه آيتهُ
يضربُ مُحًّا بالتعاويذ فيفري الكيسَ والطورُ له طيرٌ
وكافٌ كاغدٌ يلقطُ معدانًا وصوفيين رسَّامين موسيقيين.
هذي الأرضُ حنَّاها وسوَّاها بسيخٍ أحمرَ هذَّبَ معناها
له ضبٌّ دبى في جسدي واستنطقَ النار وشقَّ السترَ في
روحي وألقى غُصصًا في بركي شمَّ سراجي وارتمى في
أطلسي:
(١) يطق الحرف: يجري الشعرُ سيلًا والسماءُ استبرقًا
تومض في الكلمةِ والروح

(٢) يطق الكأس: يجري الخمرُ خيلًا في شراييني
ويشتقُّ زجاجي نشوةً تصبغ صوفي
(٣) يطق الجسد: انزاحت له عتمةُ هذا الكون حتى
أشرقت شمسُ عظامي وانجلى
حيوانها يلعبُ في الضوء
كريمًا غدقًا يلقي سماوات على كفي ويبلي ساكنًا ...
يفتحُ أبراجي وأفواجي
وجمرَ الليل في تاجي
ويبقى خافقًا يحرسُ لي روحي لكي لا تنثني ... أو لا تخون
العهدَ ... أو تتعبَ أو ينهكها مالي وأبنائي
أو يسرقها عاجي.

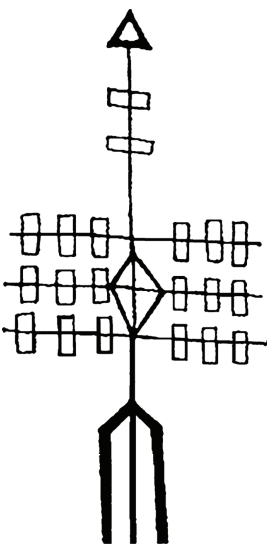

الياقوتة الخامسة

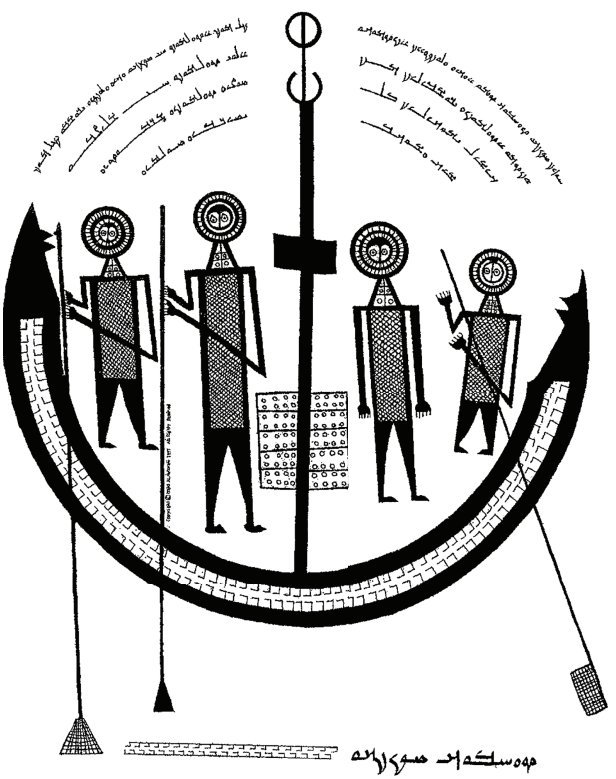

رمَت بغدادُ في أطلسها النارَ، وفي تاريخها جلجلَ رشقُ
البرق، في تاريخها صفَّقَ طبَّالون للوهمِ، ومن نهر دمٍ

يخفقُ من جمرِ ظلامٍ خرجَ السيَّاف والصوفي والشاعر،
ها نحنُ نخيط الجرحَ بالدمعِ، إذا الأيامُ شبَّت في رءوس
الناس شيبًا ردَّنا الوهمُ لحفر الموتِ في أرواحنا دارت بنا
الدنيا، وها نحنُ نسوقُ الشمسَ للمنفى ونبكي جثثَ
الأبناءِ والآباءِ في الوديان قتلى في عراء الأفق، ها نحنُ
نقود الكبشَ للذبحِ ولا كبش إلى الفردوس يمضي.

كلُّهم ماتوا ولم تغسلهمُ تسبيحةٌ حرَّى ولم يحملهمُ طائرُ
نهر الموت، أهوالٌ رمَت بغداد واهتزَّ بها عرقُ دمٍ تحت
ظلام الخوف، أهوالٌ رمَتنا فاستفَقنا نغزلُ النارَ ونرثي
قمرَ الدمعِ الذي هلَّ ولم يُصبح هلالًا.
لماذا نحنُ في التيه؟
لماذا سقط الوردُ ونامَ الفجرُ؟ ماذا هزم الشمسَ؟ وكم
من نائحٍ غنَّى طويلًا حيث لم ينفتح الباب وصِرنا في
سجونٍ نملأُ الليلَ أنينًا؟
لماذا نحنُ في الموتِ؟

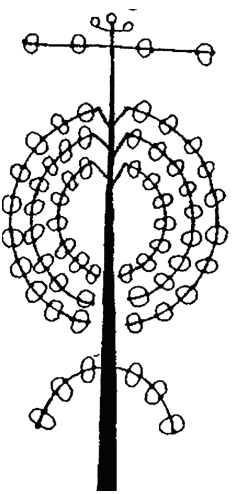

هوت أجفاننا ثم هوى الوردُ ... هوت أسناننا ثم طوى الحزنُ قلوبًا زانها الطهرُ، الغصون ارتبكَت في يدنا وارتبك النورُ، هوت بغداد في تاريخ قهرٍ شائكٍ لاح بها النهرُ غريبًا دائخًا والناسُ صرعى حوله تبكي، تحوك النار في موقدها أحرقَت النارُ ثيابَ الناس شلَّت دمهم شتتت النسلَ وما زالت.

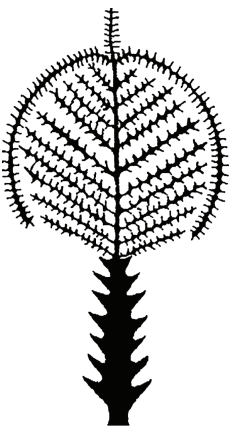

هوامش وإشارات

الياقوتات قصائد كتبها الشاعر ونشر ثلاثةً منها في ثمانينيات القرن العشرين في مجلة الأقلام العراقية، نذكر منها الياقوتة الثانية التي نُشرَت في عدد فبراير ١٩٨٢م، تمتاز هذه الياقوتات الخمس بطبيعتها الوزنية الخاصة فهي مبنية على نمطٍ خليط من بحرَي (الرمل والهزج) هو (البَنْد) المكوَّن من شطرٍ واحد، والتفعيلة فيه واحدة ومتكررة، وهو نوع من الشعر نشأ في النجف وجنوب العراق في القرن السابع عشر الميلادي وشاع فيه وفي منطقة الخليج العربي والأحواز فترةً قصيرة من الزمن، ثم انصرف عنه الشُّعراء ولم يعد يكتب فيه أحد، كان يُكتَب على هيئة النثر ولكن بتفعيلةٍ مكررة وبخليط بحرَين شعريَّين، أغراضه التقليدية القديمة تتراوح بين المديح والمناسبات. لم ينظِم عليها أحد في الشعر العربي الحديث، حسب علمنا، رغم أن الشاعرة نازك الملائكة ترى أن البند هو أحد الجذور المحلية لشعر التفعيلة الحديث. ونرى أيضًا أنه أصل مايعرف بـ «القصيدة المدورة».

الياقوتات تغوص مضامينها في عتماتٍ خاصة، تحملُ غموض الأعماق والبريق الثقيل الخاص بها. لها مناخها الخاص وجرسها الموسيقي المميَّز الذي يميزه السامعُ.

توضيح معاني بعض المفردات التي وردَت في نصوص الياقوتات

متوشالح: أحد أنبياء ما قبل الطوفان.

الهيدرا: نباتٌ بدائي بحري له أذرع عديدة، ظهر في الأساطير الإغريقية القديمة في المستنقعات بالقرب من مدينةٍ تُسمَّى ليرنا، وصوَّرَته الأساطير بأذرعٍ قد تصل لمئة ذراعٍ.

النطرون: حجر الكلس.

غطريف: ذو شأن.

إسطقس: أحوال المادة الأولى (الماء، الهواء، التراب، النار).

عشتار: إلهة الحب والجمال البابلية.

دنا DNA: وهو الحامض النووي الموجود في نواة الخلية والمسئول عن الوراثة.

هنـــداوي